

ازدواجية أمريكا تجاه الإسلام والإرهاب في ضوء تحليل الخطاب

نور شام

جامعة سونان أمبيل الإسلامية الحكومية – سورابايا

Abstract: The relationship between Islam and the West faces increasing tension nowadays. This tension is triggered by many terrorist acts in western countries. The West points out that Islam stands behind this ongoing terror, while Muslims are reluctant to be accused as perpetrators of terror. Terrorism in western countries emerges not only because of social, religious, ideological, and political movements, but also due to the expansion of the industrialization process which has resulted in negative effects for certain countries. The United States of America has contributed to this tension. A double standard by the West when promoting and implementing human right issues, especially in Israel and Palestine, has become another trigger for the growing tension between Islam and the West. This article examines this problem by analyzing the perspectives of Indonesian Muslim thinkers.

Keywords: Islam and the west, terrorism, human right.

تمهيد

أصبحت مظاهر التطرفية والأصولية الدينية واسعة النطاق وظهرت إلى السطح خاصة بعد حادثة أيلول الأسود. في 11 سبتمبر 2001 دهش المجتمع الدولي من هجمات طائرات على برج مركز التجارة العالمي (WTC) التي شنتها

مجموعة من الأشخاص باسم الإسلام.¹ فانهار رمز الهيمنة الأمريكية وترك خلفه حزنا لا يوصف لعائلات الضحايا.

ودهش المجتمع الدولي من جديد وذلك من اعتداء بالي الذي حدث في 12 أكتوبر 2002. هذا التفجير بملهى ساري كلاب في ليجيان بجزيرة بالي يؤكد أن العالم الآن صار تحت ضغوط الإرهاب الذي له علاقة بالأصولية الدينية. وبعد أن اكتشف أن مدبري هذه التفجيرات ومنفذيها من الإسلاميين المتطرفين وُجّهت أصابع الاتهام إلى الإسلام بأنه يدعم الإرهاب على أساس الدين. وحدث مثل هذا الاعتداء أيضا في بريطانيا عند تفجير قطار نفقي في لندن في 2 و 12 يوليو 2005 وقيل إنه شنّه الإسلاميون المتطرفون احتجاجا على سياسة أمريكية في العراق. والغريب أن الحركات الإرهابية ظهرت أيضا في مصر، البلاد التي تمثل رمزا للحضارة الإسلامية. واكتشف حسب التقارير الرسمية أن الذين وقفوا وراء هذه الهجمات العنيفة هم الإسلاميون المتطرفون مما يجعلهم يتعرضون لتهمة الإرهاب.²

¹ سجلت صفحات التاريخ عدة حوادث عنيفة التي وصفت بالعنف الديني. من ذلك تطهير العرق في كاليفورنيا و إيلينوي سنة 1999، والهجوم على السفارة الأمريكية في أفريقيا سنة 1998، وتفجير مستوصف الإجهاض في ألاباما و جورجيا سنة 1997، والتفجيرات أثناء الألعاب الأولمبية المقامة في أطلنطا، والهجوم على الحي السكني للجيش الأمريكي في المملكة العربية السعودية سنة 1996، وتدمير المركز الفيدرالي في أوكلاهوما سنة 1999، وتفجير وورد سننير في نيو يورك سنة 1993. هذه الحوادث العنيفة في نظر ماركس جورغنسمير لها علاقة بالأصوليين الدينيين في أمريكا منهم المسلحون المسيحيون، والحركة الذاتية المسيحية، والنشطاء المسيحيون ضد الإجهاض. راجع يوبو حنبلي، الأصولية الدينية والعنف الديني، ص:8.

² الإسلاميون الراديكاليون أو الإسلاميون المتطرفون هم أكثر تعرضا لتهمة الإرهاب وذلك بسبب بعض العمليات العنيفة التي قامت بها الحركات المتطرفة مثل الجبهة المدافعة عن الإسلام بقيادة الحبيب رزق شهاب التي هاجمت بعض أماكن التسلية التي رأتها مرتعا للمعاصي، وجنود الجهاد بقيادة جعفر عمر طالب الذين جاهدوا في مناطق النزاع الديني في جزر مالكو، وغيرها من الحركات التطرفية.

أصول العنف الديني والإرهاب

وليد الحداثة

إن العنف الديني لا يعيش في عالم معزول ولا يأتي من فراغ، إنما هو وليد زمانه. إن الاتجاهات الغربية التي سادت الحياة بشتى مجالاتها قد سببت ظهور مواقف معارضة ضدها في نطاق محلي ومحدود. وكذلك الحياة العلمانية الدنيوية الاتجاه التي تتمثل في أساليب الحياة الحرّة أنها قد فتحت أيضا بابا لظهور الحركات الدينية المتطرفة التي يصعب إيقافها والقضاء عليها.

الحركات الإسلامية المتطرفة لكونها وليدا للثقافة الغربية العلمانية قد اتخذت موقفا مقاوما ضد هذه الثقافة بعينها. التفجيرات التي شنتها الحركات الإرهابية في الآونة الأخيرة تشكل مقاومة من هذا القبيل. هذه الحركات لا تستهدف أمريكا وحلفائها إذ أنها قوية لا يمكن هزمها، إنما هي مقاومة تهدف لإرسال رسالة أن الحركات الإسلامية لن تترك الدول المتقدمة لتسيطر على الأمة الإسلامية ثقافيا وسياسيا خاصة المتعرضة منها للهيمنة الثقافية والسياسية.

الأفكار التي نشرتها وسائل الإعلام خاصة بعد كل عملية التفجير كانت على حساب الأمة الإسلامية. هذه الأفكار تتمثل على سبيل المثال في عبارة تقول: "الجماعة الإسلامية، وتنظيم القاعدة، والإسلاميون المتطرفون، يقفون وراء الإرهاب". وفي ضوء ذلك طبقت بعض الدول مثل أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا، وأستراليا، وسنجاورة، إجراءات بالغة الشدة للمسلمين خاصة من يظهر منهم بمظهر يوصف بالإسلامي المتطرف مثل اللحية والأزياء العربية.

إنه قد تأكد أن أمريكا وحلفائها التي أعلنت أنها من أنصار الحقوق الإنسانية قد انتهكت هذه الحقوق. الحرب في أفغانستان التي أدت إلى ظهور الإسلاميين المتطرفين والإرهابيين جاءت ردا على مؤامرة أمريكا وحلفائها في إبعاد رؤساء العالم الذين عارضوا سياستها الدولية. ومما يؤكد ذلك أن منفذي التفجيرات كانت

أغليبتهم من مقاتلي حرب أفغانستان الذين قد انتشروا في كثير من الدول مثل فيلبين، وماليزيا، وإندونيسيا، بل في الدول الغربية. الحرب في العراق تعد أهم ما يثير مقاومة ضد أمريكا وحلفائها، لأنها ليست إلا استيلاء على الدولة المستقلة. وهذا مما يبين لماذا سميت أمريكا بدولة إرهابية. إضافة إلى ذلك إن الحرب في العراق كانت تهدف في الحقيقة إلى خلع صدام حسين الذي كان يعارض مصالح أمريكا ولا يخضع لها. فاعتبر اليوم الذي انهار فيه تمثال صدام يوم التحرير. وقد دمر هذا التمثال على أيدي العراقيين بمساعدة الجيش الأمريكي. واشنطن بوست وصفت ذلك بعبارة: "العراقيون يحتفلون في بغداد"، ويوسطن غلوب بعبارة: "كان ذلك يوم التحرير في بغداد"، ونيو يورك تايمس بعبارة: "العراقيون الفرحون يحتشدون في شوارع العاصمة". وملاّت الصور من سقوط العراق صفحات وسائل الإعلام في أمريكا مع التعليق: "هذا لمدھش، نحن نفتخر به".³

اتضح من ذلك كله أن أمريكا المغترسة تريد السيطرة على العالم. اللعبة العالمية التي خاضتها قد نجحت، من خلال استيلائها على العراق بحجة تحرير شعبها من النظام الدكتاتوري أصبحت أمريكا دولة تمارس سياسة مزدوجة. هي من جانب أعلنت أنها تقوم ضد الإرهاب ومن جانب آخر تمارس سياسة إرهابية باسم مكافحة الاستبدادية. الحرب التي شنتها أمريكا وحلفائها على العراق قد أغضبت الإسلاميين المتطرفين ولقنتهم درساً أنهم في المعارضة ضد أمريكا وحلفائها لا يكتفون بالدبلوماسية فقط إنما يحتاجون أيضاً إلى العنف رغم أن ذلك لا يربو على تشكيل الانطباع أن الأمة الإسلامية لديها قوة المقاومة. لذا إنه يمكن القول أن الحرب على العراق كانت في الحقيقة دعاية للرئيس الأمريكي لخدع المجتمع

³ Sheldon Rampton & John Stauber, *Weapons of Mass Deception, The Uses Propaganda in Bush' War on Iraq* (New York: Penguin Group, 2003), ص. 3.

الدولي مستعينا بالوسائل الإعلامية العالمية النطاق. هذا الذي ما يمكن وصفه بـ "أسلحة الخداع الشامل".

هذه الدعاية هي التي احتجت بها أمريكا لتبرير سياستها في الحرب على العراق. وقد اتضح أن قوة هذه الدعاية كانت مدهشة للغاية حيث أن الوسائل الإعلامية الأمريكية أصبحت مصدرا نقلت منه نشرات الأخبار للوسائل الإعلامية في كل أنحاء العالم. إن هيمنة الوسائل الإعلامية لأمريكا وحلفائها من الجرائد، والتلفاز، والمذياع، التي يدعمها تمويل قوي وأنماط التغطية والتحقيق المثيرة قد جعلتها مصادر الوسائل الإعلامية الأخرى. رويتر على سبيل المثال لا الحصر هي مصدر وسائل الإعلام في كل أنحاء العالم.

الحروب في أفغانستان والعراق تركت خلفها مشاكل شائكة يصعب تذليلها حتى الآن. الحرب الأهلية في أفغانستان لم تنته بعد حتى الآن وكذلك الحرب في العراق التي تركت خلفها دمارا اقتصاديا واجتماعيا. فأصبحت الحرب في حقيقة الأمر تدميرا للحضارة الإنسانية، وذلك على يد الدولة العظمى التي ادعت أنها من أبرز أنصار الحقوق الإنسانية.

إن سلسلة من العنف كانت في الحقيقة عملية إرهابية يقوم بها شخص أو مجموعة من الأشخاص بهدف محدد وهو مقاومة الدول العظمى أمريكا وإسرائيل خاصة والدول المتحالفة لهما عامة. وفي كثير من عمليات العنف كانت الحركات الإسلامية المتطرفة مثل تنظيم القاعدة هي الطرف الأكثر ادعاء للمسؤولية عنها. لذلك أصبح تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن هو الأكثر تعرضا للاتهام إذا حدثت عملية التفجير.⁴

⁴ رأى باول بريمان أن عمليات العنف التي قامت بها الحركات التي وصفت نفسها بإسلامية تستوحي ببعض آيات الجهاد في القرآن على أساس ما فسره سيد قطب، وخميني، وأسامة بن لادن، الذي سماه باول بسياسة الزرار. راجع: W.W. Paul Breman, *Terror and Liberalism*, (New York: Norton & Company, 2003), pp. 103-120.

إن أمريكا التي تعتبر نفسها بأنها تدافع عن مصالح إسرائيل كانت فعلاً أكثر عرضة لعمليات العنف التي قامت بها الحركات الدينية المتطرفة. إن سياستها المزدوجة بشأن إسرائيل كانت في نظر المتطرفين مؤامرة تم تخطيطها بصورة خفية، مما لا يدعو للاستغراب أن رمت إيران تهمة تجاه أمريكا بأنها دولة إرهابية. ومما يؤكد هذا الاتهام أن أمريكا وحلفائها كانت تسكت عن هجمات إسرائيل على حزب الله في لبنان التي دمرت هذه البلاد وتركت خلفها مشقات المدنيين، بل تمد إسرائيل بالأسلحة للدفاع عن سياستها. إنه لغريب أن الدولة التي تدعو إلى الدفاع عن الحقوق الإنسانية في نفس الوقت تنتهكها وتقوم ضدها. وهذا الانتهاك للحقوق الإنسانية قد أثار احتجاجاً واسعاً على المستوى الدولي ومن ذلك مبادرة أمير مجلس المجاهدين الإندونيسيين حول إرسال المتطوعين إلى لبنان للوقوف إلى جانب جيش حزب الله في الدفاع عن حرمتهم وولائتهم.⁵

إذن العنف باسم الدين لا يأتي من فراغ ولا يحدث بدون أسباب وفي نظر الإسلاميين المتطرفين أن أهم الأسباب هو أمريكا الشيطان الكبير وكل ما تدعو إليه مثل الرأسمالية، والعولمة، والتتصير. هذه الدعايات الأمريكية قد سببت ظهور الحركات التطرفية والإرهابية التي لا يمكن منعها وإنكارها.

إن مقاومة الإسلاميين المتطرفين جاءت في حقيقة الأمر رداً على انتشار الثقافة الغربية التي استحالت عليهم إيقافها. وعندما وجدوا أنفسهم غير قادرين على إيقاف هذه الثقافة اختاروا عمليات العنف مثل عملية استشهادية أو انتحارية أو

⁵ كان أبو بكر باشير بوصفه أميراً لمجلس المجاهدين الإندونيسيين يدعو الدول الإسلامية إلى إرسال 50 متطوعاً إلى لبنان ليكونوا مجاهدين مستشهدين. قال باشير في تعليقاته أنه إذا اجتمعت جميع الدول الإسلامية في هذا العمل لكان القضاء على إسرائيل ممكناً. هذه الفكرة قد أثارت جدلاً إذ أن البعض يعتبرون أن ذلك عملية انتحارية لأن هؤلاء المتطوعين سيتعرضون لمشاكل كثيرة خاصة في مواجهة الوضع العسير في ميدان الحرب في لبنان إلى جانب الأسلحة الحديثة التي تستخدمها إسرائيل.

سيارة مفخخة وهي عبارة عن الحالة الاضطرارية الإجبارية التي فاقت تحملهم. وعندما انعدمت لديهم طرائق المقاومة سلخوا طريقة تعدهم أجور الآخرة وهي عملية استشهادية بالنسبة لهم وخيار وحيد للفوز على الجنة. والفوز على الجنة في رأيهم لن يتحقق بالصدقة، وبناء المساجد والمدارس، ومساعدة المساكين، إنما يتحقق من خلال الحرب ضد الأعداء كما فعله العلماء السلفيون الصالحون.⁶

قد ازداد العالم الإسلامي ضعفا نتيجة الحركات الاستعمارية التي شنها الغرب. من خلال شعار التحديث دعت الدول الغربية العالم بصورة غير مباشرة إلى التغريب مؤكدين أن الثقافة الغربية هي العليا والثقافة الشرقية هي السفلى وكل ما يأتي من الغرب خبير وما يأتي من الشرق شر. وقد أصبح هذا الادعاء النمطي سائدا في الدول تحت استعمار الغرب.

والعلمنة كانت في البداية فكرة رائعة خاصة لمواجهة هيمنة بالغة للكنيسة على الأمور الدنيوية. إنها تأتي بفكرة أن سلطة الكنيسة تنحصر على الأمور الأخروية أما الأمور الدنيوية فهي تخضع للتنظيم الدنيوي. وذلك بحجة أن هيمنة الكنيسة قد أدت إلى التضارب بين الكنيسة والدولة، وبين الكنيسة والاقتصاد، وبين الكنيسة والسياسة، مما أعطى الكنيسة سلطة تتعدى كل حدود. ولكن مع ذلك أصبحت العلمانية فيما بعد إنكارا للأمور الأخروية ذاتها.⁷

وكذلك التحديث وهو قد أثار ظهور أنواع المواقف التي تتعارض مع الثقافة الإسلامية. إن ظهور المهلى الليلي، والدعارة، وغيرها من التصرفات المنحرفة يعد من أهم قصور نظام التنمية على أساس التحديث. وهذا مما يدعو الإسلاميين إلى تطبيق النظام الجديد على أساس الشريعة في مجال النظام الحكومي والنظام

⁶ إمام سامودرا، أقوم ضد الإرهاب.

⁷ الفكرة عن الأخروية والدنيوية تستند إلى نظرة أميل دوركايم أن الأخروية تتعلق بالأمور الإلهية والدنيوية تتعلق بالأمور الدنيوية. راجع Emile Durkheim, *The Elementary Form of Religious Life* (London: George Unwin Ltd., 1976), p. 37.

السياسي وفي مجال التنمية. وتحقيقا لهذا الهدف هم يدعون بصورة مكثفة إلى الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية كحل بديل لتذليل المشكلات الحكومية مؤكدين أنها هي الطريقة الوحيدة للتغلب على الأزمات المتعددة الأبعاد.

وليد سياسة مزدوجة: أمريكا وإسرائيل

قدم جورج أروويل في 1984 فكرة سماها بالتفكير المزدوج ليبين أن ما يعنيه شخص يخالف ما يقوله.⁸ هذه الفكرة كانت مثيرة إذ أنها تعاصر الأوضاع التي ساد فيها تضارب الآراء في المجالات الاجتماعية، والسياسية، والدينية. افترض هذا التفكير أن الأفكار التي يعتقد أنها صحيحة فهي في الحقيقة غير صحيحة، والصدق ليس فيما يقال إنما يجب اكتشافه من خلال تطبيق الأفكار في واقع الحياة. في ضوء هذه الفرضية أصبحت النصوص الاجتماعية حول الحقوق الإنسانية، والإرهاب، والعنف الديني، والأصولية، والجهاد، تحمل معاني كثيرة ومتنوعة. وهذه الفرضية يمكن الاستناد إليها في تحليل الأفكار الاجتماعية التي تحملها المواقف السياسية لأمريكا وغيرها من الدول الغربية في المجال الاجتماعي والسياسي. ولعل خير دليل على ذلك هو خطاب حول الحقوق الإنسانية وسياسة أمريكا المزدوجة تجاه إسرائيل.

الفكرة عن الحقوق الإنسانية ليست وليد هذا الزمان وإنما يرجع تاريخها إلى عهد قديم عندما حاول مفكرو اليونان ابتكار طريقة التفكير للحصول على الحق والعدالة. وكان من بينهم تشيسيرو الذي رأى بطريقته الناقدة في التفكير أن الدين، والعرق، والنظرة نحو الحياة، لا تمنع الإنسان من أن يعيش حياته بأمن وسلامة. وفي العصور الوسطى رأى توماس هوبس أن الدولة التي حصلت سلطتها من

⁸ Sheldon Rampton and John Stauber, *Weapons of the Mass Deception*, p. 114.

الشعب لا بد أن تحافظ عليهم وتوفر لهم الأمن والوقاية إذ أنهم من مسؤوليتها. وإذا تعذرت الدولة على تحمل هذه المسؤولية فمن حقوق الشعب تبديلها.⁹ وعرف جون لوكي تفكيراً أكثر تقدماً حيث توصل من خلال نظرية العقد الاجتماعي إلى أن أهم ما يترتب على وجود التعاقد بين الدولة والشعب أن الدولة يجب أن تقدم وقاية لهم وتحافظ على حقوقهم الشخصية مثل حق الامتلاك.¹⁰ ويجب على الحكومة لكونها نتيجة للتعاقد بين الدولة والشعب أن تضمن لهم ما يكفي من الأمن والوقاية في حياتهم.

أمريكا هي دولة أعلنت نفسها بأنها مدافعة عن الحقوق الإنسانية إلا أنها في عالم السياسة كثيراً ما تمارس سياسة تتعارض مع الحقوق الإنسانية. في كثير من الأمور خاصة ما يتعلق بالمصالح الإسرائيلية قامت أمريكا بما يمكن وصفه بالخداع الواضح لانتهاك الحقوق الإنسانية. إذا انتهكت هذه الحقوق حركات إسلامية قامت أمريكا ضدها وأعلنت أن ذلك انتهاك واضح للحقوق الإنسانية، وإذا انتهكتها إسرائيل سكتت عنها واعتبرت أن ذلك في إطار الحرب لمكافحة الإرهاب في دولة معينة. وخير مثال لهذا الموقف الأمريكي المزوج أنها سكتت على هجمات إسرائيل على لبنان بحجة القضاء على الإرهابيين المنتهين إلى حزب الله. إن هذه الهجمات الإسرائيلية هي انتهاك للحقوق الإنسانية بدون أدنى شك، إلا أن الخطاب الذي يسود في العالم يقول إنها حرب ضد الإرهاب.

الازدواجية الأمريكية على ملعب السياسة الدولية تعد عاملاً بالغة التأثير وراء ظهور مقاومات ضدها خاصة من ضحايا هذه السياسة. الشباب الفلسطينيون في غزة على سبيل المثال سيتخذون ما قاسوا به من البطش الإسرائيلي خبرة مريرة لا تنسى في حياتهم التي ستشجعهم على شن الانتفاضة كجهاد في سبيل الله.

⁹ جواهر طنطاوي، الإسلام، الاستعمارية الجديدة والإرهاب، في ضوء القانون الدولي والوطني.

(بوغياكرتا: مكتبة الجامعة الإسلامية الإندونيسية، 2004)، ص. xvi

¹⁰ جواهر طنطاوي، الإسلامي، الاستعمارية الجديدة، ص. xvii

إن إسرائيل بكل التأكيد وبدون أدنى شك هي دولة إرهابية. إنها في نظرة الفلسطينيين واللبنانيين ليست إلا دولة إرهابية التي تيرر جميع الوسائل والأساليب لتحقيق أهدافها السياسية. إن هجماتها على لبنان ليست في حقيقة الأمر إلا محاولة للقضاء على حزب الله الذي تعتبره حركة ضد الصهيونية. والغريب أن أمريكا والدول الغربية الأخرى تسكت عن هذه الهجمات على المدنيين اللبنانيين وليست هناك أية إدانة وجهت إلى إسرائيل. فتأكد أن الخطاب القائل إنها حرب على الإرهاب أقوى وتخفي الحقيقة أنها حرب على المدنيين الأبرياء. وهذا يؤكد أن انتهاك الحقوق الإنسانية ليس إلا صورة من ازدواجية الكلام.

نظرة الغرب: الإسلام والإرهاب

الحرب من أبرز ما اهتم به الإنسان على ممر التاريخ. وهي في الحقيقة ليست مجرد التقاتل بين العدوين إنما هي تأكيد لطبيعة الإنسان وطموحه أن يكون بطلا. والحرب تترك دائما خلفها الغلبة والهزيمة والغريب أن تضارب الأسلحة في ميدان الحرب أصبح مثل تناغم السيمفونية في هذه الحياة. والقادة في هذا الأوركسترا الحربي هم رؤساء العالم الذين يعيشون حياتهم ليكونوا أبطالاً. لذا قد صح ما قيل إن الحرب هي بيع.¹¹

والإرهاب -شأن الحرب- هو بيع أيضا. في ضوء الخطاب الاجتماعي الإرهاب بمثابة الماركة التجارية التي يسوقها الغرب لتأكيد أهمية التحديد والتفريق بين الدول التي تدعم الإرهاب والدول التي يستهدفها الإرهاب. وليست من المصادفة أن تعتبر دول العالم الثالث مصادر الإرهاب إذ أن أغلبية هذه الدول تمارس سياسة تعارض اللعبة العالمية التي تلعبها الدول الغربية على رأسها أمريكا. وليست من المصادفة أن تكون هذه الدول من الدول التي تطبق نظام السياسة الاشتراكي الشيوعي أو الاشتراكي الإسلامي.

¹¹ Sheldon Rampton and Jhon Stauber, *Weapons of Mass Deception*, p. 37

في إطار الحرب على الإرهاب كان الغرب دائما يسيء إلى الإسلام بل يعتبر أن الحرب على الإرهاب على حد قول جورج بوش مثل الحرب الصليبية مما يعني أنها مثل حرب بين الصليبيين والمسلمين في العصور الوسطى. بعد تفجير مركز التجارة العالمي (WTC) شاع الانطباع أن الإسلام دين الإرهابيين وذلك نتيجة دعاية الوسائل الإعلامية الدولية التي وصفت الإسلام بأنه دين عدواني، ومحارب، وإرهابي. مجلة تايمز على سبيل المثال وصفت الإسلام بأنه دين مروع من خلال استخدام العبارة "سيف الإسلام" التي شاع نقلها في الوسائل الدولية.¹²

وفي إطار الحرب على الإرهاب قد عينت أمريكا بعض الدول التي سمّتها "الحلف الشر" منها: إيران، والعراق، وكوريا الشمالية، وكوبا، وليبيا، وأفغانستان. إنها اعتبرت هذه الدول مصادر الإرهابيين الذين شنوا هجمات إرهابية في الدول الغربية. وفي ضوء ذلك أكد الرئيس بوش في 29 يناير 2002 أن إيران، والعراق، وكوريا الشمالية، هي دول الحلف الشر التي تهدد السلامة الدولية. هذه الدول قد صنعت أسلحة الدمار الشامل ودعمت الحركات الإرهابية، وسوف تحفر قبرا للمجتمع الدولي.¹³

ومن الملاحظ أن أخبار الوسائل الإعلامية تشير إشارة واضحة إلى أنه بين الإسلام والإرهاب تقوم بصورة جلية علاقة منطقية، وانسجام نفسي، وقراءة اختيارية.¹⁴ ومما أثبت ذلك أن الوسائل الإعلامية عرضت صور الأشخاص

¹² زهيري مسروي وخمامي زاد، *الإسلام ضد الإرهاب* (جاكرتا: LSIP، 2004م)، ص: 66-67.

¹³ Sheldon Rampton and Jhon Stauber, *Weapons of Mass Deception*, p. 114

¹⁴ فكرة القرابة الاختيارية عرفها ماكس وبير في كتابه *The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism*. هذه الفكرة تبين أن العلاقة بين القيم البروتستانتية والرأسمالية ليست علاقة سببية إنما هي علاقة تتصف بالقرابة الاختيارية وهي التلاؤم المنطقي والانسجام النفسي. راجع برلين س. ترنير، *الصوبولوجيا الإسلامي* (جاكرتا: مكتبة راجاوالي، 1993م). راجع أيضا نور شام، ليست دنيا مختلفة: صوبولوجيا المجتمع الإسلامي، (سورابايا: يوريكا، 2005م) ص: 42

المتهمين بالإرهابية مثل أسامة بن لادن ورجاله مع التعليق أنهم "مطلوب". إن استعراض صور هذه الأشخاص الذين يحملون أسماء إسلامية وتمظهروا باللحية والعمامة وغيرها من سمات المجتمع العربي قد أرسل رسالة قوية إلى القراء والمشاهدين أن الإسلام له علاقة بالإرهاب. وهذا قد يقود المسلمين إلى الفكرة أن الإسلام يحمل تعاليم عن العنف.

إلى جانب ذلك ذكرت الوسائل الإعلامية ما يسمى بالدول المدعومة للإرهاب إشارة إلى بعض الدول مثل العراق، والسودان، وليبيا، وكوريا الشمالية، وكوبا. ومن المعروف أن هذه الدول تعارض مصالح أمريكا وحلفائها في السياسة الدولية وأن رؤسائها -صدام حسين، ومعمر القذافي، وكيم جانج إيل، وفيدل كاسترو- هم من أبرز المعارضين لسياسة أمريكا.

إضافة إلى ذلك تناولت الوسائل الإعلامية أيضا التنظيمات الإرهابية. وقد اكتشفت أن التنظيمات الإرهابية لا توجد في الإسلام فقط إنما هي توجد في كل الأديان. هذه التنظيمات تنتمي إلى التيارين الذين كانا يسيطران على السياسة الدولية وهما الاشتراكية و الشيوعية. التنظيمات الإرهابية في الدولة الأمريكية اللاتينية مثل كوبا، وبيرو، و كولومبيا، تنتمي إلى التيار الاشتراكي والشيوعي، وهي تقوم ضد أمريكا واقتصادها الرأسمالي كما تعارض اليابان التي سيطرت على اقتصاد بعض الدول الأمريكية اللاتينية.

أما التنظيمات في الدول الإسلامية التي وصفت بأنها إرهابية فهي في الحقيقة التنظيمات التي تسعى إلى التحرير والاستقلال من سيطرة الدول الغربية أو الدول التي تطبق السياسة الغربية. ولعل خير مثال لذلك التنظيمات في فلسطين التي اتهمت بأنها إرهابية وهي في الحقيقة حركات إسلامية التي تسعى إلى استقلال فلسطين وترفض التدخل الإسرائيلي والأمريكي على السياسة الفلسطينية. وظهرت هذه الحركات ردا على السيطرة الإسرائيلية والأمريكية على مصالح فلسطين بوصفها دولة مستقلة وعلى مصالح الدول الأخرى في الشرق الأوسط. وفي لبنان

هناك حركة حزب الله التي اتهمت أيضا بأنها إرهابية وهي في الحقيقة حركة دينية معارضة لهيمنة أمريكا وإسرائيل وتدخلهما على سياسة الشرق الأوسط.

والموضوع الآخر الذي اهتمت به الوسائل الإعلامية هو "الحرب على الإسلاميين المتطرفين". إنه مما يصعب إنكاره أن عمليات إرهابية في بعض الدول الغربية مثل بريطانيا، وهولندا، وفرنسا، كانت تنفذها أشخاص يعتقدون ديانة الإسلام. وفي مقال عن "الإرهاب الفردي" ذكرت الأسماء التي تقف كثيرا وراء عمليات إرهابية منها: أسامة بن لادن، وأيمان الطواهري، وعبد الكريم حسين محمد الناصر، وعبد الله أحمد عبد الله، ومحسن موسى متوالي عطا، وعلى عطوى، وأنس اللبيبي، وفائز عبد الله محمد، وحسن عز الدين، وأحمد محمد حميد على، وعماد فائز مغنية، والشيخ أحمد سليم السويدان، وعبد الرحم يس، وفهد محمد على محمد سليم، وأحمد إبراهيم المغسل، وعلى سعيد بن على الحري، وسيف العدل، وإبراهيم صالح محمد اليعقوب. إن ذكر أسماء هذه الأشخاص واستعراض صورهم تشير إشارة قوية إلى أن الإسلام يدعم عمليات العنف ضد الإنسانية. وهذا قد يحمل الذين لم يتفقهوا في الإسلام إلى اتخاذ موقف على حساب هذا الدين. فكون الإسلام دينا إنسانيا تشوّهه هذه العمليات التي في الحقيقة تخالف مبادئه.

ومما يترتب على ذلك دعوة صريحة من الحكومة البريطانية على لسان رئيس الوزراء توني بلير إلى "الحرب على الإسلاميين المتطرفين" من خلال التصريحات التي أدلى بها منها "لن نخضع أبدا للإرهاب". وجاءت التعليقات علي موقفه منها "بلاير اتخذ موقفا صارما ضد التعصب". وألقت الحكومة البريطانية في ضوء ذلك القبض على بعض أئمة المساجد الذين اتهموا بأنهم إرهابيون. واتخذت هولندا الموقف نفسه ضد الإرهاب بحيث أن الملكة بتريكس أصدرت بصورة مباشرة أمرا لإجراء عملية بالغة الشدة على الإرهابيين ومن ذلك أنهم يتعرضون للطرده وإزالة الجنسية إذا ما أثبت انتمائهم إلى التنظيمات الإرهابية.

هذه المواقف الصارمة التي اتخذها الغرب تجاه الإرهابيين تمثل مرحلة من مراحل الحرب ضد الإرهاب. وكل ذلك يكون على حساب الإسلام إذ أنه يوطد الانطباع السائد لدى الغربيين أن الإسلام دين الإرهاب وهذا لن يزول مهما كانت محاولات العالم الإسلامي لرفضه وإنكاره. فسادت في ضوء ذلك فكرة أن الإسلام منتشر بالسيف رغم أن هذه الفكرة تتكرر الحقيقة أن كل دين في تاريخ الأديان اتخذ لانتشاره سبلا عديدة منها الحرب. وخير مثال لذلك العنف باسم الدين الذي كان يسود عندما ظهرت الفرقة البروتستانتية في الوقت الذي استقرت فيه الفرقة الكاثوليكية. ومثل هذا شأن الإسلام عندما ظهر واتخذ سبيله إلى الاستقرار وسط هيمنة القبائل في مكة والمدينة مما أشعل الحرب بين القوات المتنافسة حينذاك.

إذن ثمة عوامل عديدة متكاملة تقف وراء هذه العمليات الإرهابية منها وأهمها عامل اجتماعي، وهو عدم القدرة على حصر انتشار الثقافة الغربية واحتلالها على حياة المسلمين في جميع المجالات. والإسلاميون عندما وجدوا أنفسهم في مثل هذه الحالة لجئوا إلى "الجهاد ضد العدو" الذي سماه أعدائهم بعملية إرهابية.

موقف الأمة الإسلامية: الإرهاب يحطّ من سمعة الإسلام

بعد تفجيرات بالي، 12 سبتمبر 2002، حظيت الحكومة الإندونيسية تعاطفاً دولياً لما لها من مكانة مهمة في العالم الإسلامي. ومن المعروف أنها دولة يمثل المسلمون فيها أغلبية ساحقة من سكانها كما أنه معروف بأن المسلمين الإندونيسيين معتدلون في حياتهم الدينية. وتفجيرات بالي قد أرسلت إلى العالم رسالة أن البلاد التي تتسم بالتسامح الديني قد تعرضت لعمليات العنف الديني التي تركت خلفها آثاراً واسعة النطاق.

القمة الإسلامية أدانت بالتفجيرات باسم الإسلام وأكدت أن ذلك يمكن أن يحطّ من سمعة الإسلام ويسيء من شأنه. ودعا الأمين العام أكمل الدين إحسانو الدول الأعضاء إلى إدانة أية عملية إرهابية إذ أنها تخالف القيم الإسلامية.

إن عمليات العنف بأي حجة كانت ستثير ردود فعل قاسية. لذا أصدرت اللجنة الإسلامية الأسبانية قرارا كان من أهم نقاطه الفتوى ضد أسامة بن لادن. جاء هذا الفتوى تعبيرا عما يراه المسلمون الأسبانيون أن الإرهاب يسيء إلى الإسلام ويأخذ من سمعته الدولية. ودعا الأمين العام لهذه اللجنة منصور أسكوريدو الدول الإسلامية في الشرق الأوسط إلى تأييد هذا القرار.

وجاءت مثل هذه الإدانة أيضا من الوزير الخارجي الماليزي سيد حميد ألبار الذي أدلى بأن ماليزيا تأمل في إلقاء القبض السريع على العقول المدبرة وراء التفجيرات في إندونيسيا قائلًا: "قد يكون هؤلاء من الماليزيين إلا أنهم لم يوجدوا هنا. لو كانوا في ماليزيا لفعلنا عليهم شيئًا".

إن شبكة القاعدة الإرهابية برئاسة أسامة بن لادن شبكة قوية للغاية. إنها يرأسها قائد ذو شخصية قوية يدعمه تمويل قوي. في حرب أفغانستان كان أسامة بن لادن يعتبر بطلا بعد انتصاره على القوة السوفيتية رغم أنه معروف أن ذلك الانتصار جاء بدعم الجيش الأمريكي. ولكنه بعد أن وقف وراء عمليات إرهابية دولية أصبح موضع الإدانة حتى في الشرق الأوسط رغم أن عملياته استهدفت المصالح الغربية. ومن ذلك ما قاله الأردني أبو محمد المقدسي: "تلك التفجيرات تخالف معنى الجهاد الحقيقي". أو ما قاله السوري أبو بشير الترتسي: "إن التفجيرات عمل ملعون يفتقر إلى الشجاعة والأخلاقية".

خاتمة

الإرهاب له وجهان. إنه من جانب عملية فاضحة بالنسبة للأمة الإسلامية عامة إذ أنه يستغل الدين لتحقيق مصالح قادته. ولكنه من جانب آخر لا يأتي من فراغ إنما يأتي ردا على جميع أنواع عمليات العنف التي قامت بها الدول الغربية على الدول الإسلامية في كل أنحاء العالم.

لذا ليس هناك سبيل لمكافحة الإرهاب إلا بناء العلاقة العادلة والمتساوية على أساس التراحم والتعاون بين دول العالم. إن العلاقة التعاونية والتراحمية

ضرورة لكي يكون لكل دولة دور تلعبه في العلاقات الدولية وليس كما يجري الآن حيث أن الدول الغربية تمثل "الفاعل" وغيرها "المفعول". وتغيير العلاقة الدولية من الاتجاه "فاعل-مفعول" إلى الآخر "فاعل-فاعل" يجب أن يكون موضع الاهتمام في بناء العلاقة المتساوية بين دول العالم. ويبقى السؤال هنا هل يمكن للدول الغربية التي قد ادعت أنها المسيطرة الوحيدة على العالم أن تغير سياستها الاقتصادية والسياسية نحو هذا الاتجاه؟ الشك هو الذي يسود عند كل حديث عن هذا الموضوع.

المراجع

- برايت س. ترنير. *صوبولوجية الإسلام*. جاكارتا: مكتبة راجاوالي، 1993م.
حنبلي، يويو. *الأصولية والعنف الديني*...
سامدرا، إمام. *أنا ضد الإرهاب*....
شام، نور. *ليست دنيا مختلفة صوبولوجية المجتمع الإسلامي*. سورابايا: بوريكاه، 2005م.
طنطاوي، جواهر. *الإسلام، الاستعمارية الجديدة والإرهاب، في ضوء القانون الدولي والوطني*. يوغياكارتا: مكتبة الجامعة الإسلامية الإندونيسية، 2004.
مصراوي، زهيري و خمامي زاد. *الإسلام ضد الإرهاب*. جاكارتا: LSIP، 2004.
Breman, Paul. *Terror and Liberalism*. New York: W. W. Norton & Company, 2003.
Durkheim, Emile. *The Elementary Form of Religious Life*. London: George Unwin Ltd., 1976.
Rampton, Sheldon & John Stauber. *Weapons of Mass Deception, The Uses Propaganda in Bush' War on Iraq*. New York: Penguin Group, 2003.